

حملة أبرهه الحبشي لهدم الكعبة المشرفة وموقف القبائل العربية منها (دراسة تاريخية تحليلية)

باحثة - المملكة العربية السعودية

أ.هنايف سعود هاشم القرشي

المستخلص :

تهدف هذه الدراسة لألقاء الضوء على الدوافع والأسباب الحقيقية التي دفعت أبرهه الحبشي المعروف بأبرهه الأشرم للقيام بهذه الحملة، وأيضاً موقف القبائل العربية منها، حيث تمثل حملة أبرهه الحبشي لهدم الكعبة حلقة من حلقات الصراع السياسي بين القوى الكبرى التي تحيط بالجزيرة العربية، من أجل بسط النفوذ الاستعماري على الدويلات العربية التي تكونت تحت ظلال هذه القوى، وأعلى القبائل المنتشرة في صحراء شبه الجزيرة العربية، وترى الباحثة أن هذه الحملة لاختلو من الدافع الديني وهو ما ذكرته المصادر الإسلامية. وقد تناولت هذه الدراسة عدة محاور: أولاً: المقدمة وقد تم فيه استعراض أبرز الحملات الموجهة ضد مكة قبل حملة أبرهه، ثانياً: تولي أبرهه حكم اليمن وحملته على مكة، ثالثاً: بناء القليس، رابعاً: حملة أبرهه على مكة وموقف القبائل العربية منها، منهج الدراسة : تستخدم هذه الدراسة منهج البحث التاريخي الوصفي التحليلي القائم على جمع المادة العلمية من المصادر المتعددة وعرض الحقائق وتحليلها.

الكلمات المفتاحية: الكعبة، حملة، الحبشة، أبرهه، قبائل العربية.

Abraha Al-Habashi's Campaign to Destroy the Holy Kaaba and the Position of the Arab Tribes Against It (An Analytical Historical Study)

Hanouf Saud Hashim Alqurashi

Abstract:

This study aims to shed light on the real motives and reasons that prompted Abraha Al-Habashi, known as Abraha Al-Ashram, to carry out this campaign, as well as the position of the Arab tribes towards it. The colonialist forces attacked the Arab states that were formed under the shadow of these forces, or the tribes scattered in the desert of the Arabian Peninsula, and the researcher believes that this campaign is not devoid of a religious motive, which was mentioned :by Islamic sources. This study dealt with several themesFirst: The introduction, in which the most prominent campaigns directed against Makkah were reviewed before Abraha's campaignSecond: Abraha assumed the rule of Yemen and carried him to Mecca Third: Building Al-Qalis Fourth: Abraha's

campaign against Mecca and the position of the Arab tribes towards it
 Study Approach This study uses the analytical descriptive historical research approach based on collecting scientific material from multiple sources and presenting and analyzing facts.

Keywords: Kaaba, campaign, Abyssinia, Abraha, Arab tribes

المقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم، أمابعد:

شهدت مكة في عصر الجاهلية العديد من الصراعات السياسية، حيث يروي المؤرخون أن رجلاً يدعى تبعاً الأول سار إلى الكعبة، وأراد هدمها وتخريبها، عندما كانت خزاعة قائمة بأمر مكة، فوقفت خزاعة في طريقه، وقاتلت عنه أشد القتال حتى رجع، فالتبابعة -ملوك اليمن- الذين أرادوا هدم الكعبة ثلاثة⁽¹⁾، وذكر الدارسون أن التبّع الأول تصدت له خزاعة وقريش وعاد إلى بلاده مدحوراً، والتبّع الثاني تصدى له نفس الجيش؛ فكانت الهزيمة من نصيبه أيضاً⁽²⁾ أما في عهد قريش فأراد تبّع الثالث -وهو الملك تبان أسعد أبو كرب⁽³⁾ الحميري، ملك متوج باليمن، ويُعرف بتبّع اليمن، ويُظن أن ابنه حسان قد عاش في القرن الرابع قبل الميلاد، وإذا صح ذلك يكون الأب قد عاش في القرن الرابع أو الخامس قبل الميلاد⁽⁴⁾ - فقد أراد التبّع تبان أسعد -بحسب ما ذكر- هدم الكعبة، وسبب ذلك أن نفر من هذيل بن مدركه، أرادوا هلاكه، فقالوا له: إن بمكة بيتاً تعظمه العرب وتنفذ إليه، وتنحدر عنده، فيه اللؤلؤ والذهب والفضة وإن قريشاً قائمة بأمره، وحازت شرفه، وأنت أولى أن يكون ذلك البيت شرفه لك، فأرسل إلى الأبحار، فسألهم عن ذلك، فقالوا له: ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك، ما أراد أحداً البيت بسوء إلا هلك، فعرف نصحهما، ودعا نفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم، ثم توجه إلى مكة، فطاف بالبيت وأقام بمكة، ورأى بالمنام أن يكسو البيت، فكساه المعافر، ثم كساه الملاء والوصائل، فكان تبّع على ما قيل أول من كسا البيت⁽⁵⁾، وبالحديث عن غزوات هذا الملك ضد القبائل والمناطق الواقعة في شمال الجزيرة العربية، فقد أخضع كل من قيس، ونزار، واليمامة وقيم، وكنانة وغيرها⁽⁶⁾

أما عن حملاته وسط الجزيرة، فقد عثر على نقش لهذا الملك في وادي مأسل الجمح قرب الدوادمي والمعروف بـ(ريكانز، Ry 509 / 509)، وكان ذلك بداية القرن الخامس الميلادي، حيث يذكر هذا النقش أن أبا كرب أسعد غزا مع ابنه حسان أرض معد، بعد أن مر بوادي مأسل الجمح⁽⁷⁾، دون ذكر لتفاصيلها حيث ذكر الدكتور عبد الله أبو الغيث أن السبب من عدم ذكر التفاصيل أن النقش دون قبل الحملة⁽⁸⁾.

أما بالنسبة لغزواته خارج الجزيرة العربية، فالاعتقاد الشائع بين المؤرخين أنها مجرد مبالغات أسطورية لا تمت إلى التاريخ الحقيقي بصله⁽⁹⁾ ومما جاء في كتاب إبراهيم حلمي أن البعض يذكر أن سيف بن يزن هو أول من كسا الكعبة، والبعض الآخر يذكر أن سيدنا إسماعيل -عليه السلام- هو أول من كسا الكعبة، لكن الصحيح هو ما ذكره إبراهيم حلمي بأنه لا يوجد رأي قاطع عمّن هو الشخص الذي كان أول من قام بكساء الكعبة⁽¹⁰⁾.

تولي أبرهة حكم اليمن وحملته على مكة:

تذكر المصادر التاريخية أن النجاشي أصحمة جعل على اليمن رجلاً يدعى أرياط، وكان سلطاناً عليها، قائماً بأمور أهلها، مما أدى ذلك إلى حسد أبرهة له، فأراد أن ينازعه في ملكه، ودعاه إلى البراز فترقت الحبشة

إلى طائفتين، طائفة مع أرياط، وطائفة مع أبرهة. تقابل الطرفان واشتد بينهم القتال، ف ضرب أرياط أبرهة على جبهته بحربته فشرم حاجبه وعينه وأنفه وشفته، فبذلك سمي أبرهة الأشرم، وكان خلف أبرهة غلامه عتوده، فحمل على أرياط فقتله⁽¹¹⁾، وصلت الأخبار إلى النجاشي فغضب غضباً شديداً على أبرهة، وحلف ألا يدع أبرهة حتى يطيأ بلاده، ويجز ناصيته، فلما سمع أبرهة ذلك، حلق رأسه وملاً جراب من تراب اليمن، وأرسل بها إلى النجاشي، وكتب إليه: أنني أنا وأرياط عبيدك وتحت طاعتك، ولكن ما حدث بيننا هو اختلاف أثبت أنني أجدر، وأقوى منه على أمر الحبشة، وحين بلغني قسمك، حلفت رأسي كله، وبعثت إليك بجراب من تراب اليمن لتضعه تحت قدميك»، وأراد أبرهة بذلك رضى النجاشي عنه، وقد تم له ذلك⁽¹²⁾.

بناء القليس:

عندما كان أبرهة قائماً على أمر اليمن، رأى الناس يتجهزون للحج إلى بيت الله الحرام، فسأل: إلى أين يذهب الناس، قالوا له: إلى بيت الله بمكة، فقال: مم هو؟ قالوا: من حجارة، قال: وما كسوته؟ قالوا: ما يأتي من ههنا من وصال، فتعجب أبرهة من ذلك، ومما رآه من تعظيم العرب لمكة، فأراد أن يصرف العرب عن الحج إلى بيت الله الحرام، وقرر بناء كنيسة عظيمة تضاهي الكنائس التي كانت موجودة في ذلك الوقت⁽¹³⁾. شرع أبرهة في بناء الكنيسة وقد أحضر لها أحجاراً من قصر بلقيس⁽¹⁴⁾، وجعلها شاهقة البناء، وزينها بالرخام الأبيض والأحمر، والأصفر، والأسود، وحلاه بالذهب، والفضة، وحفه بالجواهر، وجعل فيها ياقوتة حمراء عظيمة، ومنابر من العاج والأبنوس، وكان يوقد فيها بالمنديل، ويلطخ جدارها بالمسك، وقد أطلق عليها أسم القليس لارتفاعها وعلوها، وجعلها تفوق الكنائس روعة وجمالاً، فأرسل إلى النجاشي «إني قد بنيت لك كنيسة لم يبن مثلاً ملك قبلك ولست بمنته حتى أصرف حج العرب إليها»⁽¹⁵⁾، وأراد أبرهة بذلك أن يبهر النجاشي بما عمل، وأن يعلي من قدره ومكانته عنده، ويبين له أنه أجدر من غيره على أمر الحبشة. وصل خبر الكنيسة إلى بلاد العرب، وبلغهم ما قاله أبرهة، فغضبوا غضباً شديداً، فأتى رجل يدعى نفيل الخثعمي إلى القليس ليلاً، وجاء بعذره، ولطخ جدارانه، وجمع جيفاً فألقاها فيه، وأراد أن يبين لهم أن الكنيسة ليست سوى مكان لتجمع القاذورات، ولا تليق بأن تكون معبداً، فلما علم أبرهة بذلك وبلغه أن الذي فعل هذا رجل من بلاد العرب، أقسم ليهدم الكعبة التي يقصدونها⁽¹⁶⁾، وتعددت الروايات في ذلك، فالرواية الأولى تقول إن الذي فعل ذلك رجل من بني مالك بن كنانة⁽¹⁷⁾، والرواية الثانية تذكر أنهم فتية من قريش خرجوا في تجارة إلى الحبشة، وأقاموا بجوار بيعة للنصارى، وأوقدوا ناراً لطعامهم ثم تركوها، فهبت ريحاً أشعلت النار وأحرقت البيعة فغضب النجاشي، فأتاه أبرهة وأبو يكسوم وشرحيل وضمنوا له إحراق الكعبة، فكانت الحملة إلى مكة⁽¹⁸⁾. وأما الرواية الثالثة: فذكر السيوطي أن أكسوم حفيد أبرهة خرج حاجاً إلى بيت الله الحرام، فلما انصرف من مكة نزل في كنيسة نجران، فقام نفر من مكة بسرقتها، وأخذ ما فيها من حلي ومنها قناع أكسوم فغضب أبرهة لذلك، وأعد جيشاً من خولان والأشعرين، وجعل قائدهم شهر بن معقود، وأمره بالسير إلى مكة لهدم الكعبة⁽¹⁹⁾. ويقول جواد علي عن هذه الرواية، غير معقولة لأن أكسوم نصراني والنصارى لا تحج لبيت الله الحرام، لأنها محجة الوثنيين، وما رواه السيوطي بأن الذي سار لهدم الكعبة شهر وهذا يخالف إجماع أهل الأخبار والمفسرين⁽²⁰⁾. والرواية الرابعة: ذكرت أن أبرهة اختار محمد بن خزاعي على مضر، وأمره أن يسير إلى الناس يدعوهم إلى حج القليس، فذهب محمد حتى نزل بأرض كنانة، فبعثوا له

رجلاً من هذيل يقال له عروة بن حياض فرماه بسهم فقتله، وقد كان معه أخوه قيس الذي أخبر أبرهة بما حدث، فأقسم أبرهة ليهدم البيت⁽²¹⁾. والأرجح والذي اتفق عليه أغلب المؤرخين والمفسرين أن الذي قام بالحملة أبرهة، ومن المحتمل أنه لم يكن السبب واحداً، بل لأسباب عديدة منها الاقتصادية والسياسية، فمن الناحية الاقتصادية كانت اليمن تحت السيطرة الحبشية، مما جعلها تفقد دورها في نقل التجارة العالمية، ومن ثم أصبح الطريق البري عبر الحجاز وتهامة مفتوحاً أمام التجارة الشرقية، فأصبحت مكة ذات موقع استراتيجي مهم، وممراً للقوافل، فأراد النصارى السيطرة على مكة للاتصال بالتجارة العالمية⁽²²⁾ أما الدافع السياسي، فكان الهدف تحقيق حلم الدولة البيزنطية بفرض سيطرتها على شبه الجزيرة العربية، وتكوين جبهة عسكرية من الأحباش من جهة، ومن الروم المقيمين في بلاد الشام من جهة أخرى⁽²³⁾.

أما الديني، فكان الرغبة في نشر النصرانية في بلاد العرب وهدم الكعبة لتحويل حج العرب، لكنيسة صنعاء (24)، وقال الدكتور صالح العلي عن هذه الرواية بأنها هزيلة فيقول: «فإن أبرهة إذا كان قد بنى كنيسة نصرانية في اليمن ليأتيها النصارى، لا يستطيع إجبار المشركين على زيارة الكنيسة النصرانية، فمكة لا تغتاز من إنشاء كنيسة نصرانية، لأن مركزها الديني لا علاقة له بالنصارى، كما أنه ليس لأبرهة سلطة عليهم، وهناك عدة بيوت مقدسة لم يرد في التاريخ خبر استيائها أهل مكة منها، فلماذا تستاء من القليس؟»⁽²⁰⁾

حملة أبرهة وموقف قبائل العرب منها :

تجهز أبرهة الحبشي بعد أن تلقى الدعم المادي والمعنوي من ملك الحبشة النجاشي الذي أرسل له جيشاً ضخماً، يتقدمهم فيل يقال له (محمود)، ويقال كان معه ثلاثة عشر فيلاً وهي تتبع محموداً⁽²⁶⁾، وقيل اثنا عشر فيلاً غيره، وقيل ثمانية، وقيل كان معه ألف فيل، وقيل كان وحده⁽²⁷⁾. ويذكر المؤرخون أن أبرهة عندما أراد السير إلى مكة، سمعت العرب بقدومه وعن ضخامة جيشه، فكانت لهم ردة فعل ولم يستسلموا لما يريد، فكان أول تصدى له من قبل «ذي نهر الحميري»⁽²⁸⁾، من أشرف اليمن الذي خرج لقتال أبرهة، ولكن أبرهة تغلب عليه وأخذه أسيراً⁽²⁹⁾، فلما وصل أبرهة أرض خثعم خرج إليه نفيل بن حبيب الخثعمي، ومن تبعه من قبائل العرب، فقاتله فانهمز نفيل وأخذ أسيراً، فضمن لأبرهة أن يده له على الطريق⁽³⁰⁾، سار أبرهة بجيشه حتى وصل الطائف، فخرج إليه زعيم ثقيف مسعود بن معتب الذي كان له موقف سلبي ضد العرب وأعلن الخضوع لأبرهة هو وقبيلته، وقال له: نحن عبيدك، سامعون لك مطيعون، ليس لك عندنا خلاف، وليس بيتنا هذا البيت الذي تريده إنما تريد البيت الذي بمكة. ونستنتج من ذلك أنهم يعظمون اللات أكثر من تعظيمهم حرمة بيت الله الحرام، ولم يكتف بذلك، بل أرسل معه أبو رغال ليدله على طريق مكة، فلما وصلوا المغمس مات أبو رغال هناك، فرجمت العرب قبره جزاء لما فعله⁽³¹⁾، يقول جرير:

إذا مات الفرزدق فارجموه كرجمكم لقبر أبي رغال⁽³²⁾

وهذا الفعل الذي قام به زعيم ثقيف، وانضمام بعض القبائل مع أبرهة -نذكر منهم قبيلتي خولان والأشاعرة- أعطى لأبرهة الراحة والتقدم نحو ما يريد، يذكر الدكتور عبد المعطي أن الطريق الذي اتخذه أبرهة لحملة هو طرق القوافل التجارية القديمة المارة بين جنوب شبه الجزيرة العربية وشمالها والمارة بمنطقة الحجاز خاصة، وذكر أنه لم تثبت أي دلائل نصية أو أثرية لطريق الحملة⁽³³⁾.

ذكر السنجاري أن الفيل دخل الحرم وحسر عند المحسر وهو حد منى مما يلي جهة عرفه، وأن الوادي سمي محسراً لكون الفيل حسر فيه، وقيل إن الفيل لم يدخل الحرم وكان نزول العذاب عليهم بالمغمس⁽³⁴⁾، والصحيح ما ذكره الدكتور خالد آل زيد وهو أن الهلاك وانحسار الفيل وقع في المغمس، ثم تذكر الرواية أن أبرهة بعث الأسود بن مقصود على فرسانه، فساق إليه أموال تهامة وكان من بينها مائتا بعير لعبد المطلب بن هاشم، وأرسل رجلاً يدعى حناطة الحميري إلى عبد المطلب، فلما وصل حناطة مكة، سأل عن سيد قريش فدلوه على عبد المطلب، فلما رآه أخبره بما قاله له أبرهة، بأنهم لم يأتوا لحرب ولا لقتال أحد، إنما أرادوا هدم البيت، «ومن يقف في طريقنا كان حقاً علينا قتاله»⁽³⁵⁾

فكان رد عبد المطلب حكيماً ينم عن شخصية سياسية محنكة تتميز بالهدوء والعقلانية حين قال له: والله ما نريد حربه ومالنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم، وإن يمنعه فهو بيته، وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه.⁽³⁶⁾ وقد أراد عبد المطلب لقاء أبرهة، فلما أتى العسكر، سأل عن صاحبه ذي نفر فلما دخل عليه، قال له: يا ذا نفر، هل عندك من غناء في ما نزل بنا؟ فقال له ذو نفر: وما غناء رجل أسير بيدي ملك، ينتظر أن يقتله غدواً أو عشياً؟ وقد دلّ على سائس الفيل أنيس، وكان صديقاً لذي نفر، وأوصاه على عبد المطلب. ذهب أنيس إلى أبرهة وأخبره عن مكانة عبد المطلب في قريش، وأنه صاحب غير مكة وأنه يطعم الناس بالسهل، والوحوش في رؤوس الجبال، واستأذنه أن يكلمه، فأذن له أبرهة، وكان عبد المطلب رجلاً مهيباً عظيماً وسيماً، فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه عن أن يجلس تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريه، وأجلس عبد المطلب إلى جانبه، وقال لترجمانه: قل له ما حاجتك، فكان رد عبد المطلب حكيماً حيث طلب منه أن يرد عليه إبله ولم يكلمه في أمر البيت، فلما قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه، يحاول أن يستفز عبد المطلب: قد كنت أعجبتني حين رأيته وزهدت فيك، أتكلمني في إبلك، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك لا تكلمني فيه؟! فرد عليه عبد المطلب بثقة كبيرة وحكمة وقال له: أنا رب الإبل وإن للبيت رباً سيمنعه، فرد أبرهة عليه بطغيان وقال: ما كان ليمنع مني (ولم يعلم أن عاقبة أمره خسر)، قال له عبد المطلب: أنت وذاك، وأمر أبرهة رجاله برد الإبل لعبد المطلب⁽³⁷⁾. رفض عبد المطلب استجداء الرحمة من أبرهة، وانصرف إلى قومه، وهو واثق بأن الله سيحمي بيته وسيهلك الطاغية أبرهة ومن معه، كهلاك كل من طغى وتجر من الأقوام السابقة، فتوجه إلى قومه ونحر الجزور، وأطعم الناس وأمر قومه بالخروج من مكة، والتحرز في رؤوس الجبال، فما كان من قومه إلا طاعته، لأنهم يعلمون حكمة عبد المطلب وصواب رأيه.

بقي عبد المطلب مع نفر من قريش يدعون الله عند الكعبة، ويتضرعون له، فقام وأخذ بحلقة باب الكعبة وهو يردد:

يا رب لا أرجو لهم سواك يا رب فامنع منهم حماكا
إن عدو البيت من عاداك فامنعهم أن يخربوا قراكا
لاهم أن العبد يمنع رحله فامنع حلالك

لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدرا محالك

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك⁽³⁸⁾

ثم اتجه عبد المطلب ومن معه إلى قومه في رؤوس الجبال، ينتظرون ما يفعل أبرهة، فلما أصبح أبرهة، تهيأ لدخول مكة، وهياً فيه، فلما وجه الفيل إلى مكة، أقبل نفيل الخثعمي حتى أتى الفيل، ثم أخذ بإذنه وقال له: أوبرك محمود أو ارجع راشداً من حيث أتيت، فإنك في بلد الله الحرام، فبرك الفيل.

رهما يظهر تعارض بين الرواية التي تشير إلى أسر نفيل وهذه الرواية التي تشير إلى أنه أخذ بأذن الفيل، لكن الأقرب إلى الصحة أنه لا يوجد تعارض بين الروايتين حيث ذكر الأزرقي الروايتين بشكل متسلسل دون أن يشير إلى تناقض، فقد هُزم على يد أبرهة، ولم يقتله أبرهة وأخذه أسيراً مقابل أن يكون له دليلاً بأرض العرب، فلما وصلوا ووجهوا الفيل إلى مكة حدثت الرواية الثانية، وهي بروك الفيل، حيث إن بروك الفيل هو إعجاز رباني ناتج عن إقبال أبرهة على هدم الكعبة، وليس بسبب مخاطبة نفيل للفيل، فهو ليس صاحب كرامات (39) مصداقاً لما ذكره الرسول عليه الصلاة والسلام، حينما بركت ناقته القصواء عند الحديبية، حيث ردد الصحابة «خلأت القصواء خلأت القصواء»، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل...»⁽⁴⁰⁾ وبالعودة لأحداث القصة، خرج نفيل وصعد الجبل، وضربوا الفيل ليقوم فأبى فوجهوه راجعاً إلى اليمن، فقام يهرول ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك، وما زالوا يحاولون في الفيل أن ينهض حتى أقبل عليهم الليل، وهم ما زالوا في طغيانهم وجبروتهم حتى أتاهم أمر الله، فأنزل عليهم عذابه، وبالعودة إلى كتب التفسير نجد أن الله يخبر نبيه الكريم عمّا فعله بأصحاب الفيل وكيف عاقبهم بالحجارة حين أرادوا هدم الكعبة، وجعل كيدهم في نحرهم، وجعل صنيعهم في أباطيل، وأهلكهم بأضعف جنوده، وهو الطير الذي كان يحمل في منقاره حجراً وفي رجله حجرين، كل حجر فوق حبة العدس ودون حبة الحمص مكتوب في كل حجر اسم مرميه، ينزل على رأسه ويخرج من دبره، وقيل: لها خراطيم طير، وأكفف كأكفف الكلاب⁽⁴¹⁾ ويذكر الماوردي ثلاثة أقاويل في وصف الطير، فقيل: إنها من طير السماء وهذا الرأي ضعفه، والقول الثاني قول عكرمة إنها العنقاء المغرب التي تضرب بها الأمثال، والقول الثالث يذكر أنها من طير الأرض أرسلها الله من ناحية البحر، أما في معنى كلمة أبابيل فيروي خمسة أقاويل، قيل إنها الكثيرة، وقيل إنها المتتابعة، وقيل إنها المتفرقة، وقيل الأبابيل بمعنى مختلفة الألوان، وقيل بمعنى أنها تكون جمعا بعد جمع⁽⁴²⁾، و ذكر الجوزي ألوانها فقيل إنها خضراء وهذا قول عكرمة، وقيل إنها سوداء وهذا ما قاله عبيد بن عمير، وذكر قتادة أنها بيضاء⁽⁴³⁾، ويروي الماوردي معنى كلمة سجيل، فقيل إنها كلمة فارسية هي سنك، أولها حجر وآخرها طين، وهذا قول ابن عباس، وقيل إن السجيل هو الشديد، وهناك من يقول إن السجيل هي اسم السماء الدنيا، هذا ما قاله ابن زيد، وقيل إنه اسم بحر من الهواء، منه جاءت الحجارة فنسبت إليه، وهناك بعض المستشرقين الذين شككوا في عذاب أهل الفيل الذي ذكره القرآن الكريم، وفي ذلك بحث للدكتور عبد المنعم عبد الحليم مفاده: (في أوائل الخمسينيات عثرت بعثة ركمانز على نقش تعددت الآراء حوله وكان أخطرها رأي بعض المستشرقين

الذين قالوا بأن: النقش يسجل حملة أصحاب الفيل، والهدف من ذلك التشكيك والطعن في ما ورد من آيات القرآن الكريم عن عذاب أصحاب الفيل، حيث ذكروا أن النقش يتحدث عن انتصار أبرهة وكيف أنه عاد بجيشه سليماً، وهذا يخالف قوله تعالى (فجعلهم كعصفٍ مأكول) وقد قام كاتب هذا البحث برحلة إلى منطقة مريغان، لمراجعة نسخة رومانز، وبفضل الله تمكن من العثور على نقش صغير سجله محارب يدعى منسي ابن ذرانج، حارب تحت قيادة أبرهة. وقد تبين للكاتب أن العبارات الناقصة وغير الواضحة كانت لأسماء شهور وقبائل، والنقش يروي صراعاً قُبلياً استغله أبرهة في ضرب أعدائه من قبائل نجد، ولا صلة بينها وبين حملة الفيل، وذكر بأن النقش يسجل حملة أخرى سبقت حملة الفيل التي أشار إليها القرآن⁽⁴⁴⁾

نتائج حملة أبرهة الحبشي:

وكانت النتيجة فشل الحملة، وهلك الطاغية ومن معه، وحمى الله بيته وأعزه وأذل الطغاة المعتدين، وخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق، فأرسل الله سيلاً على بقاياهم وألقاهم في البحر، وأصيب أبرهة في جسده، وأخذ جسده يتساقط أكلة أكلة، حتى قدموا به صنعاء، فما مات حتى أنصدع صدره عن قلبه، ويذكر العلماء عقب حادثة الفيل ظهور وباء الجدري والحصبة، وظهرت أشجار الحنظل والحرمل⁽⁴⁵⁾. حمى الله تعالى بيته الحرام من الطغاة، وباءت جميع مخططات النصارى بالفشل الذريع، حيث تكبدوا خسائر بشرية ومادية وانتشرت بينهم الأمراض، وأصبحت أحلامهم في سراب، فأصبحوا عبرة وعظة لمن بعدهم، ولمن يتجرأ أن يمس بيت الله الحرام بسوء، وهذا ما انعكس على علو مكانة مكة بين العرب، فأصبحت مكة تتمتع بالرخاء والأمان، وكانت تأتيها وفود العرب من كل حذب وصوب، مؤمنين بأن للبيت رباً سيمنعه من أي اعتداء غاشم عليه، وبذلك أصبحت قبيلة قريش تتمتع بالسيادة، وعلا شأنها بين القبائل⁽⁴⁶⁾، ويذكر مهرا أن بعض المراجع تكاد تجمع على أن أبرهة لم يبلغ صنعاء إلا بعد جهد جهيد، وهناك مات شنيعاً بلعنات العرب من كل أنحاء الجزيرة العربية، كما نتج عن هذه الحملة أن علت مكانة قبيلة قريش، وعلت مكانة عبد المطلب الدينية والأدبية علواً كبيراً، وكان هذا النصر إلهاماً بدعوة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وشرفه العظيم، ودلالة واضحة على شرف البيت الحرام، وإجابة لدعوة إبراهيم -عليه السلام- بأن يجعل الله سبحانه وتعالى هذا البلد آمناً، وقد أصبحت قريش تؤرخ بعد ذلك بعام الفيل، وأصبحت الحبشة لا تفكر بأي عمل عسكري ضد مكة (47)، ومن خلال هذا الحديث يتبين مدى النتائج التي تحققت بفضل ما فعله الله -عز وجل- ضد حملة أبرهة الحبشي.

الخاتمة :

أستجاب الله لدعوة نبيه إبراهيم وأهلك الطغاة المعتدين، كما ذكر في كتابة العزيز (فجعلهم كعصفٍ مأكول)، فكانت هذه الحادثة معجزة من معجزات الله -تعالى- وهو نفس العام الذي ولد فيه نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- ومن النتائج التي ترتبت على الحملة حملة أبرهه على مكة كانت لأسباب دينية وسياسية واقتصادية ولم تقتصر على سبب واحد. رأي المستشرقين في أنكارهم لحملة أبرهه كان يعتمد على الآثار، ومن ذلك ماقامت به بعثة ركمانز. 3- لا يوجد رأي قاطع عن أول شخص كساء الكعبة المشرفة وهذا ماذكره الدكتور أحمد حلمي. 4- أصبحت قريش تتمتع بالسيادة وعلا شأنها بين القبائل. 5- أصبحت قريش تؤرخ بعام الفيل بعد هذه الحادثة.

الهوامش:

- (1) الأزرقى، محمد بن عبدالله بن أحمد، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: عبد الملك دهيش، ط1، مكتبة الأسدى، مكة المكرمة، ج2، ص 205، عثمان: سعد حسين، الجميعي: عبد المنعم إبراهيم، الاعتداءات على الحرمين الشريفين عبر التاريخ، ط1، 1992م. ص 12-13.
- (2) الجميعي، الاعتداءات على الحرمين ص12، الصاوي: أمينة، الكعبة المشرفة، العدد/282، 1988م. ص81.
- (3) ابن منبه: وهب، التيجان في ملوك حمير، تحقيق ونشر: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، ط1، صنعاء، 1347هـ. ص 305، الزركلي، خير الدين الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، ج2، 2002م، ص175.
- (4) فترة حكمه لا تقل عن خمسين عاما، وقد تميزت فترة حكم أبي كرب بالبداية في استعمال اللقب الملكي الطويل بإضافة عبارة: وأعرابهم في الطود (نجد) وتهامة، كما تميزت بالتوسع في وسط الجزيرة العربية حيث شن هجوما على قبيلة معد التي تقيم ما بين شمال نجران وجنوبي مكة المكرمة وهذه الحملة ذكرها الإخباريون العرب، انظر: السقاف، حمود محمد جعفر، تبابعة وملوك اليمن (ملوك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم في الطود/ نجد وتهامة) تاريخ اليمن من أسعد الكامل وحتى أبرهة الأشرم (378حوالي 571م)، ط1، دار الكتب، صنعاء، 1425هـ-ص13-14.
- (5) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، البداية والنهاية، ج2، مكتبة المعارف، بيروت، 1990م، ص 165، الأزرقى، أخبار مكة، ج 2، ص 207-205.
- (6) الحميري، نشوان بن سعيد، ملوك حمير وأقيال اليمن، تحقيق علي بن إسماعيل المؤيد وإسماعيل بن أحمد الجرافي، بيروت، 1978م، ص125-123. أبو الغيث، عبد الله عبده إسماعيل، العلاقات السياسية بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها خلال القرنين الخامس والسادس الميلادي، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، كلية الآداب، جامعة صنعاء، 1423هـ/2003م. ص8.
- (7) طبران، سالم: نقشا مأسل الجمع، مأسل، تصدر عن قسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود، الرياض، 1420هـ-1999م، ص26-25. المخلافي، عارف أحمد إسماعيل، هل كانت يثرب مملكة؟ دراسة تاريخية لنشأة المدينة وتطورها قبل الإسلام، مجلة دورية علمية محكمة، مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية، ع2، 2019م. ص57.
- (8) أبو الغيث، العلاقات السياسية بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها، ص18-17.
- (9) أبو الغيث، العلاقات السياسية بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها، ص9.
- (10) حلمي: إبراهيم، كسوة الكعبة المشرفة وفنون الحجاج، مؤسسة أخبار اليوم، العدد 1991، 320م. ص34. ذكر أن إسماعيل هو من كسا الكعبة، أما تبع فهو أول من كساها الأنطاع والوصلات. الأنطاع: بسط من الجلد، والوصلات:
- ثياب جبرة من عصب اليمن، انظر، الأنصاري، وآخرين، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ط1، جامعة الملك سعود، 1404هـ-ص140.
- (11) ابن كثير، البداية والنهاية، ص169، الشامي، محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ج1، القاهرة، 1997م، ص215.

- (12) ابن كثير، البداية والنهاية، ص 169، الشامي، سبل الهدى، ج 1، ص 215.
- (13) مثل كنيسة «أيا صوفيا» في القسطنطينية، وكنيسة «المهد» في بيت لحم، مهران: محمد بيومي، دراسات تاريخية من القرآن الكريم (1) في بلاد العرب، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995م. ص 393.
- (14) قصر بلقيس: نسبة إلى بلقيس ملكة سبأ التي ذُكرت قصتها في سورة النمل. الحضرائي: بلقيس إبراهيم، الملكة بلقيس، تقديم جبرا إبراهيم جبرا، (د.ط)، (د.م)، 1994م. ص 41.
- (15) السهيلي، الفقيه أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، قدم له وعلق عليه وضبطه: طه عبد الرؤوف سعد، دار الفكر، بيروت، 2008م، ص 63، ابن كثير، البداية والنهاية، ص 170، ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، ط 1، ج 1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001م، ص 91، الشامي، سبل الهدى، ج 1، ص 215.
- (16) ابن سعد، الطبقات، ج 1، ص 91، الشامي، سبل الهدى، ج 1، ص 216، النجم، عمر بن فهد، إتحاف الوري بأخبار أم القرى، ط 1، ج 1، معهد البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، 1403هـ، ص 21.
- (17) ابن إسحاق، محمد بن إسحاق، سيرة ابن إسحاق المسماه بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي، تحقيق: محمد حميد الله، تقديم، محمد الفاسي، ج 1، المغرب، 1976م، ص 38، الشامي، سبل الهدى، ج 1، ص 216، الطبري، محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل القرآن، ج 24، تحقيق الدكتور، عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، ط 1، القاهرة، 1424هـ - 2001م. ص 636. الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، تفسير الخازن لمسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، وبهامشه تفسير البغوي المعروف بمعالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، ج 6، دار الفكر، 1399هـ - 1979م. ص 291-290.
- السمرقندي: لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، ج 3، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الدكتور زكريا عبد المجيد النوتي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1413هـ - 1993م. ص 513.
- (18) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 484، السمرقندي ج 3، بحر العلوم، ص 513، مهران، دراسة تاريخية، ج 1، ص 396، الماوردي، علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، النكت والعيون تفسير الماوردي، ج 6، راجعه: مقصود بن عبد الرحيم، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1412هـ - 1992م. ص 340، الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه، أحمد شمس الدين، ط 3، ج 7، دار الكتب العلمية، لبنان، 2009م. ص 321.
- (19) السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين، تفسير الدر المنثور في التفسير المأثور، ط 1، ج 8، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان-بيروت، 1403هـ - 1983م. ص 627، مهران، دراسات تاريخية، ج 1، ص 395 جواد علي، «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط 2»، ج 4، جامعة بغداد، العراق، 1993م، ص 510.
- (20) السيوطي، تفسير الدر المنثور، ج 8، ص 627، جواد علي، المفصل، ج 4، ص 511-512.
- (21) الطبري، تفسير، ج 24، ص 636، مهران، دراسات تاريخية، ج 1، ص 396، النجم، عمر، إتحاف الوري، ج 1، ص 20.

- (22) مهران، دراسات تاريخية، ج1، ص 399، عثمان، الجميعي، الاعتداءات على الحرمين، ص 22.
- (23) مهران، دراسات تاريخية، ج1، ص 400. عثمان، الجميعي، الاعتداءات الحرمين، ص 21.
- (24) عثمان، الجميعي، اعتداءات الحرمين، ص 21.
- (25) العلي، صالح أحمد، محاضرات في تاريخ العرب، ج1، ص 260، سالم، عبدالعزيز، تاريخ العرب قبل الإسلام، الأسكندرية، 1988م، ص 79.
- (26) ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد الجزري، الكامل في التاريخ ط1، تحقيق أبي الفداء عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ ص 373، المقدسي، مجير الدين العليمي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المقدسي الحنبلي التاريخ المعتبر في أنباء من غبر، ج1، إشراف، نور الدين طالب، ط1، دار النوادر، سوريا، 1431هـ ص 56، ابن الوردي، العلامة زين الدين عمر الوردي، تنمية المختصر في أخبار البشر، ط1، ج1، دار المعرفة، بيروت، 1970م، ص 150.
- (27) الفاسي، العقد الثمين، ص 36.
- (28) إن القول بأن ذا نفر كان من ملوك اليمن، ربما فيه بعض الريب، حيث إن اليمن وقتها كان مستعمرة من الأحباش، ولا ملوك فيها.
- (29) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج2، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، 1979م، ص 61. ابن الأثير، الكامل، ص 373، السنجاري، علي تاج الدين بن تقي الدين، منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، تحقيق جميل المصري، مكة المكرمة، ط1، ج1، 1419هـ ص 428-427، الشامي، سبل الهدى، ج1، ص 216.
- (30) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص 373، الشامي، سبل الهدى، ج1، ص 216، النجم عمر، إتحاف الوري، ج1، ص 23.
- (31) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2، ص 61، ابن الأثير، الكامل، ص 374، ابن كثير، البداية والنهاية، ص 61، الطبري، تفسير الطبري، ج24، ص 638، السمرقندي، بحر العلوم، ج3، ص 513.
- (32) الشطر الثاني من البيت في ديوان جرير هو: (كما ترمون قبر أبي رغال). جرير، ديوان جرير، (د.ط)، دار بيروت، بيروت، 1986م، ص 342.
- (33) سمس، عبد المعطي بن محمد عبد المعطي، العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة منذ القرن السادس ق.م وحتى نهاية العهد الحبشي باليمن، دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم، مكة المكرمة، 1410هـ ص 285.
- (34) السنجاري، منائح الكرم، ص 453.
- (35) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، الوفا بأحوال المصطفى، تحقيق مصطفى عبدالواحد، دار الكتب الحديثة، مصر، ج1، ص 91، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2، ص 61-62، ابن كثير، تفسير القرآن، ص 484.
- (36) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2، ص 62، الطبري، تفسير الطبري، ج24، ص 639، ابن كثير، تفسير القرآن، ص 484-485.

- (37) ابن إسحاق، سيرته، ج1، ص39 ابن كثير، البداية والنهاية، ص، 172-173، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2، ص62، ابن سعد، الطبقات، ج1، ص 91-92، الطبري، تفسير الطبري، ج24، ص 639-640.
- (38) ابن إسحاق، سيرته، ج1، ص39، ابن كثير، البداية والنهاية، ص62، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2، ص62، اليعقوبي، أحمد بن واضح، تاريخ اليعقوبي، مج1، بيروت، 1980م، ص 253، ابن سعد، الطبقات، ج1، ص 92، الخازن، تفسير الخازن، ج6، ص 292، الماوردي، النكت، ج6، ص339، ابن كثير، تفسير القرآن، ص 485، السنجاري، منائح الكرم، ج1، ص 431، الجوزي، لوف، ج1، ص92، السيوطي، الدر المنثور، ج8، ص628.
- (39) الأرزقي، أخبار مكة، ج2، ص220-225.
- (40) سمس، العلاقات بين الجزيرة العربية والحبشة، ص285.
- (41) السمرقندي، بحر العلوم، ج3، ص514، السيوطي، الدر المنثور، ج8، ص630، الخازن، تفسير الخازن، ج6، ص295، الأندلسي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان، تفسير البحر المحيط، ج8، ط2، تحقيق، عادل أحمد عبد الموجود، علي بن محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م، ص512.
- (42) الماوردي، النكت والعيون، ج6، ص342.
- (43) الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، ج7، ط3، دار الكتب العلمية، لبنان، 2009م، ص323.
- (44) السيوطي، الدر المنثور، ج8، ص633، الماوردي، النكت والعيون، ج6، ص344، الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، ج3، ط3، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي، علي النجدي ناصف، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 2002م، ص292.
- (45) سيد، عبد المنعم عبد الحليم، هل يشير نقش أبرهة الحبشي عند بئر مريغان إلى حملة الفيل؟ مجلة جامعة الملك عبد العزيز الآداب والعلوم الإنسانية، مج3، جدة، 1410هـ، 71-76.
- (46) ابن كثير، البداية والنهاية، ج2، ص173، ابن سعد، الطبقات، ج1، ص92، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج3، ص62، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص375-376، ابن كثير، تفسير القرآن، ص641-642، الخازن، تفسير الخازن، ج6، ص 293، الطبري، تفسير الطبري، ج24، ص 642-643، الخولي، محمد زكي عبدالحليم، مسك الكلام في أخبار البلد الحرام، ط1، 1431، ص 131، الجوزي، الوفاء، ج1، 92-93.
- (47) مهران، محمد بيومي، تاريخ العرب القديم، ط11، ج2، دار المعرفة الجامعية، 2004م، ص162.
- (48) مهران، دراسات تاريخية، ج1، ص410-411.